

بسم الله الرحمن الرحيم  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

عنوان البحث:

## أثر اعتماد الروايات غير الموثوقة في القدح في عدالة الصحابة وضبطهم

(روايات عمر بن الخطاب المتعلقة بأبي هريرة وابن عباس نموذجاً)

د. قاسم حاج أحمد

### مقدمة:

برزت في ساحة نقد التراث الديني النقلي كتابات عدّة، تبنت مسلكاً عقلياً صرفاً في تحليل ذلك التراث، متمثل أساساً في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، سواء الصحيح أو الضعيف منها، معتبرةً -أي تلك الكتابات- منهج المحدثين الذي بُني عليه ذلك التصحيح والتضعيف جهداً بشرياً بحثاً، وبالتالي جواز الاستدراك عليه ومعارضة نتائجه، ولو بلغ الصحيح منها أعلى درجات الوثاقة والدقة.

ولئن سلمنا جدلاً بأهمية إعمال العقل لتمييز المقبول من المردود في السنن والأحاديث، وهو ما تبناه التيار الحديثي، ولا يزال، ومن قبله بعض المستشرقين، واعتبرنا ذلك طرحاً جديداً له ما يبرره، وإن لم نوافقه في كل تفاصيله، فإن الخطأ المنهجي الذي وقعت فيه تلك الكتابات، هو اعتمادها -بالموازاة مع النظر العقلي غير المنضبط- روايات منقولة غير ثابتة من حيث الاتصال، أو عدالة وضبط الرواة، منسوبة إلى صحابة مشهورين، حيث استعملت تلك المرويات لمناقشة بل، وردّ أحاديث أقوى منها إسناداً، وبالتالي القدح في عدالة الصحابة الذين رووها، أو على الأقل القدح في ضبطهم.

ويتناول هذا البحث جانباً من القضية، حيث أجري فيه دراسة إسنادية متنية لنماذج من روايات منسوبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اعتمدت للتشكيك في صحابة أكثرين مشهورين هما أبو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما. أوردتها واعتمدها الدكتور عبد الرزاق عيد في كتابه: سدنة هياكل الوهم، منشورات دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.

### إشكالية الدراسة:

ينطلق البحث من الإشكالية الآتية: ما هي المآخذ المنهجية والموضوعية على أعمال هذه الروايات؟، وما جوانب الصحة فيها إن وجد؟. وما المسلك الصحيح الواجب اتباعه للاستدراك والتعليق على الصحابة بموضوعية وأمانة؟.

### أهداف البحث:

المهدف من تناول هذا الموضوع ما يلي:

- تبرئة ساحة عمر بن الخطاب ؓ أولاً مما نسب إليه.
- الدفاع عن الصحابة المفترى عليهم انطلاقاً من تلك الروايات.
- بيان ضوابط وآداب التعامل مع ما ينسب إلى الصحابة من مثالب واستدراكات.

واعتمدت الخطة الآتية:

المطلب الأول: نبذة عن محتوى الكتاب.

المطلب الثاني: الروايات المتعلقة بالصحابي أبي هريرة.

المطلب الثالث: الروايات المتعلقة بالصحابي ابن عباس.

خاتمة: ضوابط الاستدراك على الصحابة ونقد رواياتهم.

## المطلب الأول: نبذة عن محتوى الكتاب.

عنوان الكتاب هو: **سدنة هياكل الوهم (نقد العقل الفقهي، البوطي نموذجاً)**، والمقصود بهياكل الوهم عند الكاتب الموروث الديني الفقهي عند المسلمين، أو ما عبّر عنه بالمنظومة الفقهية كما تتجلى في العقل المشيخي، المنبري، الوعظي، الداحض للعقل الكوني الحديث بشتى تياراته ومدارسه، والمقصود بالسدنة العلماء الذي حموا تلك المنظومة وخدموها وحافظوا عليها.

وينطلق الكتاب من إشكالية أنّ الفكر الديني القاصر والجامد هو سبب من أسباب أزمة الهوية التي يعيشها العالم الإسلامي، لعجزه عن الاستجابة لأنواع التحديات والمعضلات المعاصرة التي تواجه المسلمين.

ويحاول المؤلف بناء على ذلك تحليل جذور ذلك الفكر وأسباب جموده ومظاهر ذلك الجمود، مستعينا بنموذج من علماء العصر يعبّر في نظره تعبيرا واضحا عن ذلك الفكر وهو الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، من خلال مؤلفاته لاسيما كتابه (كبرى اليقينيّات الكونية).

وقد عبّر المؤلف عن الهدف من تأليف كتابه بقوله: "إننا في هذا الكتاب نريد أن نضع تجربة الفكر الديني المعاصر والراهن بمواجهة عصر النهضة، من خلال استفتاء مقارن بين عقل مدرسة الإصلاح الديني محمد عبده، جمال الدين الأفغاني... وعقل التردّي الفقهي ممثلا بالممارسة الفكرية والنظرية للفكر الديني المعاصر من خلال اختيار نموذج للمثقف الإسلامي الأكاديمي...، لتبين مدى إمكانية هكذا وعي على الانتظام في سلسلة فكر الإصلاح الديني، أم أنه انقلاب عليه، وقطيعة فكرية ومنهجية مع تقاليد؟".

والخلاصة المتوخاة في الأخير معرفة إلى أي مدى ساهم هذا الفكر الجامد في نظره في تأزيم حال الأمة الإسلامية وتخلف أوضاعها.

وقد اختزل المشكلة كلها في قواعد علوم الحديث ومنهج الجرح والتعديل، القائم -في نظره- على مراعاة الإسناد واعتباره مقياسا للنقد والقبول والرّد للنص الديني متمثلا في السنة النبوية، فأصبحت صحة الإسناد كافية للتسليم بمحتوى النص ولو كان منافيا لمقتضى النظر العقلي. فحاول دفع هذا الأمر، مبينا أن صحة الأسانيد أمر نسبي، بالنظر إلى الاختلاف الحاصل حول الإسناد الواحد مثلا تصحيحا وتضعيفا، وشكّك في وجود التواتر، وكذا الإجماع، ورأى أنّ القول بهما مما ساهم في تجميد الفكر الديني وحصر دائرة الاجتهاد، بما ركّب لهما من قداسة تمنع تجاوزهما.

وقد مثّل في كتابه لمظاهر ذلك القصور في الفكر الديني بمثالين من الصحابة هما أبو هريرة وابن عباس باعتبارهما أهم مصدرين للسنة المروية عن رسول الله ﷺ، واجتهد في الطعن في عدالتهما وضبطتهما مستعينا بما وجدته من أقوال لبعض الصحابة فيهما لاسيما عمر بن الخطاب، أو من خلال مناقشة بعض مروياتهما الصحيحة والضعيفة

إسنادا مناقشة عقلية صرفة، يريد بذلك التنبيه إلى أن التراث الديني عند المسلمين مبني في قسم كبير منه على مصادر مشكوك في صحتها ونزاهتها، وبالتالي وجب إعادة النظر فيما رواه هذان الصحابييان ومناقشته بالعقل بعيدا عن قواعد الإسناد.

وأهم ما يلاحظ على الكتاب - كما سيأتي - عدم التزامه بتوثيق النصوص من مصادرها الأصلية في بعض الأحيان للتثبت من صحة النقل، وكذا استعانتة بالنصوص غير الثابتة الإسناد للاستدلال على ما يقول.

ولم يتجاوز المؤلف في نهاية كتابه ما انتهى إليه بعض الكتاب من استنتاجات في هذا المجال، لاسيما أبو رية في كتابه (أضواء على السنة النبوية)، وعبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (أبو هريرة)، إذ سار على نفس طريقتهم ومنطلقاتهم، وكرّر كثيرا من نصوصهم.

## المطلب الثاني: الروايات المتعلقة بالصحابي أبي هريرة.

أورد صاحب الكتاب فصلا بعنوان: (أبو هريرة واختلاس أموال البحرين)، ذكر فيه رواية عن أبي هريرة مما وقع بينه وبين الخليفة عمر بن الخطاب أثناء توليته له على البحرين، وفيها أنّ عمر أغلظ له القول وضربه تأديبا له، ونص الرواية كما نقلها في كتابه: "أنّ أبا هريرة صار عاملا لعمر بن الخطاب على البحرين بعد أن كان عريف أهل الصفة، وهو الذي قال له عمر: إني استخلفتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار، فقال له: كانت لنا أفراس تنأجت وعطايا تلاحقت، قال: بلى والله أوجع ظهرك، ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه، ثم قال: ائت بها، قال: احتبستها عند الله، قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا، أجنث من أقصى حجر البحرين يجبي الناس لك، لا لله ولا للمسلمين، ما رجعت بك أميمة (يعني أمه) إلا لرعيّة الحمر".

ثم قال معلّقا على هذه الرواية: "أي علّم للجرح والتعديل يقرأ هذه الواقعة في تاريخ تراجم الرجال ولا تعروه القشعريرة، وهو الذي يأخذ جزءا هائلا من دينه عن هذا الرجل الذي تملأ أحاديثه ليس الصحاحين (البخاري ومسلم) فحسب، بل وكتبنا المدرسية، علما بأن الكثيرين من السلف قد اعترضوا على أحاديثه بأنها لا يوافقه عليها أحد من الصحابة، وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة".<sup>(١)</sup>

مما يلاحظ على ما ذكره المؤلف ما يأتي:

- اكتفاؤه في نقل الرواية بمراجع وسيطة، فالرواية بهذا اللفظ كما هو في هامش الكتاب منقولة عن كتاب الأعمال الكاملة لعبد الحميد الزهراوي، إعداد وتحقيق عبد الإله النبهان. ولم يكلف صاحب الكتاب نفسه عناء التحري عنها في المصادر الأصلية، بل أحال إليها في الهامش بقوله: انظر الحديث بغير هذا اللفظ في طبقات ابن سعد... إلخ.

وهذا مناف للأمانة العلمية، فقد يكون الناقل قد زاد أو أنقص بما يحيل المعنى كله، وهو الذي سنراه في روايات ابن سعد وهي:

أخبرنا عمرو بن الهيثم قال: حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: كنت عاملا بالبحرين، فقدمت على عمر بن الخطاب فقال: عدوا لله وللإسلام، أو قال: عدوا لله ولكتابه، سرقت مال الله؟، قلت: لا، ولكني عدو من عاداهما، خيل لي تنأجت وسهام لي اجتمعت، فأخذ مني اثني عشر ألفا، قال: ثم أرسل إلي بعد: أن ألا تعمل، قلت: لا، قال: لم، أليس قد عمل يوسف؟، قلت: يوسف نبي بن نبي، فأخشى من عملكم ثلاثا

أو اثنتين، قال: أفلا تقول: خمساً؟، قلت: لا، أخاف أن يشتموا عرضي ويأخذوا مالي ويضربوا ظهري، وأخاف أن أقول بغير حلم وأقضي بغير علم.

أخبرنا هوزة بن خليفة، وعبد الوهاب بن عطاء، ويحيى بن خليف بن عقبة، وبكار بن محمد قالوا: حدثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال لي عمر: يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله؟، قال: فقلت: ما أنا بعدو الله، ولا عدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، ولا سرقت مال الله، قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟، قال: قلت: يا أمير المؤمنين خيلي تناسلت وسهامي تلاحقت، وعطائي تلاحق. قال: فأمر بها أمير المؤمنين فقبضت. قال: فكان أبو هريرة يقول: اللهم اغفر لأمر المؤمنين.

أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي قال: حدثنا همام بن يحيى قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال لأبي هريرة: كيف وجدت الإمارة يا أبا هريرة؟، قال: بعثني وأنا كاره، ونزعني وقد أحببتها. وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين فقال: أظلمت أحدا؟، قال: لا، قال: أخذت شيئا بغير حقه؟ قال: لا، قال: فما جئت به لنفسك؟، قال: عشرين ألفاً، قال: من أين أصبتها؟، قال: كنت أتجر، قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذ، واجعل الآخر في بيت المال.<sup>(١)</sup>

فليس في هذه الروايات كلّها ما حكاه صاحب الكتاب من الضرب والتأديب، والذي اعتمده متكأً للقدح في عدالة أبي هريرة والنيل من عرضه، على أن الحرص على جمع المال والاتجار فيه غير قادح في عدالة الراوي إذا كان صاحبه متحريراً في كسبه.

كما أن في بعض هذه الروايات ضعف من حيث الإسناد، ففي الأولى محمد بن سليم أبو هلال الراسبي، وهو صدوق فيه لين.<sup>(٢)</sup>

كما يشكل على تلك الروايات احتمال الانقطاع بين ابن سيرين وأبي هريرة، وإن كان قد ثبت سماعه منه. يدل على ذلك رواية عبد الرزاق: عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل أبا هريرة رضي الله عنه.<sup>(٣)</sup>

وهذه الرواية (أي رواية الضرب) قد اعتمدها قبله أبو ريرة في كتاب الأضواء للطعن في عدالة أبي هريرة.<sup>(٤)</sup>

---

١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م، رقم ٥٦٨١-٥٦٨٢-٥٦٨٣: ٤/٣٣٥.

٢- تقريب التهذيب، علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، حلب، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦: ٤٨١/٢.

٣- المصنف، عبد الرزاق بن همام أبو بكر الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، رقم ٢٠٦٥٩: ١١/٣٢٣.

وذكر في كتاب آخر سبب ترجيحه هذه الرواية على غيرها، قال:

"وهذه الرواية أقرب إلى الصحة، لأنها تتفق مع حزم عمر وصرامته، وطبع أبي هريرة ومهانتة".<sup>(١)</sup>

ومما نسب إلى عمر بن الخطاب أيضا زجره واستنكاره على أبي هريرة إكثار رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد اتخذ صاحب الكتاب ذلك متكأ للطنع في عدالة أبي هريرة أيضا، واتهامه بالكذب كما سبق، وهو في ذلك متبع لمن سبقه من بعض الكتاب أمثال أبي رية.

ولا بأس أن أورد بعضا مما نسب لأبي هريرة من أقوال يعزّز بها هؤلاء مقولتهم فيه، منها قوله: "إني أحدثكم أحاديث: لو حدثت بها زمن عمر: لضربني بالدرة"، وفي رواية: "الشج رأسي".<sup>(٢)</sup>

وأما هذا الخبر: فيروى عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن أبي هريرة، وابن عجلان لم يدرك أبا هريرة، فالخبر لذلك منقطع غير صحيح أيضا.

وينقل عنه قوله أيضا: "ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله، حتى قبض عمر"، ثم يقول: "أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي، أما والله إذا: لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهري، فإن عمر كان يقول: اشتغلوا بالقرآن، فإن القرآن كلام الله".<sup>(٣)</sup>

وهذا الخبر رواه صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وصالح بن أبي الأخضر قد ضعفه جمع من أئمة النقد، وأحسن أحواله أنه معتبر به كما قال الإمام أحمد.<sup>(٤)</sup>

ومن الإنصاف إيراد ما روي عن عمر من إجازته لأبي هريرة في التحديث، وحمل نفيه له على التحوط من اختلاط الأحاديث بالقرآن على من لا يحفظ، أو اختلاط الصحيح بالسقيم، قال ابن كثير: "وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من

---

٤- أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٥٧: ص ١٧٤.

١- شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، طبع: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، دت: ص ٨٠.

٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ١١٥/٨.

٣- المصدر نفسه: ١١٥/٨.

أحاديث الرخص، وأنّ الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك".<sup>(٥)</sup>

كما أن هذا النهي من عمر لم يقتصر على أبي هريرة وحده، بل زجر غيره من الصحابة أيضاً، وكان ذلك مذهبه في حديث رسول الله ﷺ، قال الذهبي: "هكذا هو كان عمر رضي الله عنه يقول: أقلوا الحديث عن رسول الله ﷺ. وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث، وهذا مذهب لعمر ولغيره".<sup>(١)</sup>

والملاحظ على أصحاب الكتاب خلطه بين اتهام الراوي في حفظه وأمره بالتثبت فيما يرويه وبين رميّه بالكذب، فيفهما فرق كبير، وعمر نفسه قد اخطأ في أحاديث واستشبهته عائشة وصوبت له كما في حديث تعذيب الميت بيكاه أهله عليه، وهو مشهور، وليس فيما روي عن عمر أو غيره من الصحابة اتهام صريح لأبي هريرة بالكذب، بل هو استغراب من كثرة روايته وخوف منهم من وقوعه في الخطأ.

---

٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت: د ت، ٢/٢٨٨.

١- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣/١٩٩٣ م: ٦٠١/٢.



### المطلب الثالث: الروايات المتعلقة بالصحابي ابن عباس.

أورد هنا طائفة من أقوال منسوبة لابن عباس قالها في حق عمر بن الخطاب أو بحضرته، واعتمدها صاحب الكتاب للقدح في أخلاق ابن عباس وفساد سيرته، وأغلبها أخبار لم تثبت بإسناد صحيح، فضلا عن تحريف بعض ألفاظها.

من ذلك أن ابن عباس قال لعمر: "إن بعض الناس كاد أن يجيد هذا الأمر عنك. قال عمر: وما ذاك؟ قال: يزعمون أنك فظ. قال عمر: الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رُحماً، وملأ قلوبهم لي رُعباً". وعزاه في الهامش للكندهلوي في حياة الصحابة.

اتخذ صاحب الكتاب هذه الرواية دليلاً على صلف ابن عباس وعدم توقيره لعمر بتحديه له ومكانته، قال: "ومن وجوه افتئات ابن عباس على عمر بن الخطاب تحديده لمهابته التي تتفق كل الروايات والأخبار حول حقيقة هذه المهابة بما في ذلك إقرار النبي ذاته بها، حيث كان من الممكن لمغنية أن تنشده وتغني أمام النبي، حتى إذا حضر عمر فإنها تهرب من المجلس، فيفسر النبي موقفها مبتسماً، بأن شيطانها هزمه رحمن عمر. هذه المهابة التي تميز ابن الخطاب، يدعي ابن عباس أنه تحداها بوصمه إياه بالفضاضة، وذلك بقوله له..." وذكر الرواية باللفظ السابق.<sup>(١)</sup>

قلت: لا يدل كلام ابن عباس بتاتا على ما استنتجه صاحب الكتاب من سوء أدب وخلق، فابن عباس نقل وجهة نظر الناس في عمر ولم يتهمه بشيء.

والأهم من ذلك أمران:

أولاً: الرواية في المصادر التي نقل منها صاحب الكتاب تخالف تماماً ما نقله في كتابه، ففي تلك المصادر أن القائل ليس ابن عباس، وإنما رجل آخر نقل ابن عباس قوله لعمر، في حياة الصحابة ما نصه: "وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل: لقد كاد بعض الناس أن يجيد هذا الأمر عنك. قال عمر: وما ذاك؟ قال: يزعمون أنك فظ. قال عمر: الحمد لله (الذي) ملأ قلبي لهم رُحماً، وملأ قلوبهم لي رُعباً. كذا في منتخب الكنز".<sup>(٢)</sup>

١ - سدة هياكل الوهم: ص ٨٤.

٢ - حياة الصحابة، الكندهلوي: ١٦٩/٢. ترقيم المكتبة الشاملة (الإصدار الثالث).

وهكذا الرواية بهذا اللفظ عند ابن عساكر في كنز العمال.<sup>(٣)</sup>

ثانيا: الرواية في هذه المصادر كلّها معلّقة دون إسناد، وهذا كاف لإسقاط الاستدلال بها لعدم الوثوق بصحتها، لاسيما إن كان المفهوم منها قدح في شخصية ابن عباس وخلقه كما بدا لصاحب الكتاب.

وقد بلغ انتقاصه من قدر ابن عباس إلى حد أنه استكثر منه توجيه نصيحة أو تذكرة لعمر، واستنتج من خلال بعض الروايات أنه رجل محبّ للشهرة متظاهر بالحكمة وسداد الرأي.

قال: "بل إنه (أي ابن عباس) يضع نفسه من عمر بن الخطاب بموقع الواعظ والمبشر والمنذر، بل والشاهد عليه يوم القيامة، وذلك يوم طعنه، فتارة يقول له: أبشر يا أمير المؤمنين، فإن الله قد مصرّ بك الأمصار، ودفع بك النفاق، وأفشى بك الرزق...".

وأضاف: "وبسبب فرح الفاروق بتزكية ابن عباس ووعظه، فإنه يدعوهم ليجلسوه، فلما جلس قال لابن عباس: أعد عليّ كلامك، فلما أعاد عليه قال: أتشهد بذلك عند الله يوم تلقه؟ فقال ابن عباس ﷺ: نعم. قال: ففرح عمر ﷺ بذلك وأعجبه".

ثم قال: "يبدو ابن عباس في مجموع هذه الحكايات وكأنه الشخصية الرئيسية، أي الفاعل الأول، وابن الخطاب ليس إلا موضوعا لفعالية ابن عباس، فهو موضوع يقع عليه الفعل، فيستجيب لفاعليته المؤثرة، ومن ثم الإفضاء إلى المتلقي بمغزى الحكاية التي يكون فيها ابن عباس عين الحكمة وموئل الصواب، الذي يتعلم منه ابن الخطاب ويخفف من جزعه، ويستبشر خيرا مما يبشره به".<sup>(١)</sup>

قلت: الرواية الأولى باللفظ الذي أورده أخرجها أبو نعيم في الحلية، قال: حَدَّثَنَا محمد بن معمر حَدَّثَنَا أبو شعيب الحرّاني حَدَّثَنَا يحيى بن عبد الله حَدَّثَنَا الأوزاعي حَدَّثَنِي سماك قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: "... وذكره.<sup>(٢)</sup>

وإسنادها صحيح، لكنّ محلّ الشاهد، أي فرح عمر بكلام ابن عباس، وهو تمام القصة، والذي لم يرق صاحب الكتاب، فأخرجه ابن سعد في الطبقات، قال: أخبرنا محمد بن عبيد، والفضل بن دكين، قالوا: أخبرنا

---

٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ٥٨٥/١٢.

١- سدنة هياكل الوهم: ص ٨٤-٨٥.

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ: ٥٢/١.

هارون بن أبي إبراهيم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير: أنَّ عمر بن الخطاب لما طعن قال له الناس: "...". وذكر القصة بطولها. (٣)

فرجال هذا الإسناد ثقات، إلا أن عبد الله بن عبيد لم يثبت لقيه عمر بن الخطاب أو حضور الحادثة، وهو غير محتمل، ذلك أنه توفي سنة ١١٣ للهجرة. (١)

يقول صاحب الكتاب: "إنَّ سلوكه مع الخليفة الثاني، وفق الروايات والأسانيد وعلم تراجم الرجال، تتيح لنا وفق مبادئ علم الجرح والتعديل، أن نجرح بمدى نزاهة وصدق ابن عباس في رواية الحديث وتفسير القرآن، فلا بدَّ من تعديل الصورة إذن، إذ إنَّ علم النقل لا بد له من تصويب على ضوء أسئلة العقل". (٢)

ثم استرسل في قدحه وتجرّحه من خلال استعراض جملة من مرويات منسوبة له في التفسير وبدء الخلق، بأسلوب من التهكم والسخرية مما حوته من القصص والغرائب، ويمكن أن أقتطع من كلامه الكثير قوله: "يمكن القول إنَّ السارد الرئيس لقصة الخلق والتكوين من المنظور العربي الإسلامي هو ابن عباس، فليس هناك سائجة من سوانح القصص إلاَّ وله فيها رأي أو قراءة، وهو يرويها بثقة المطلع على التوراة، حتى ولو كانت خلاف ما وردت به الأخبار عن النبي ﷺ، وعن العلماء، وذلك عندما يروي أنَّ مكث آدم في الجنة نصف يوم، كان مقداره خمسمائة عام، وعند ذكر الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء في الأرض، يسارع ابن عباس ليدلي بدلوه المترع بميثولوجيا عجائبية ساحرة، يقول: فلما أهبط آدم على جبل نوح كانت رجلاه تمسان الأرض، ورأسه بالسما يسمع تسبيح الملائكة، فكانت تماهيه، فسألت الله أن ينقص من طوله، فنقص طوله إلى ستين ذراعاً...". (٣)

قلت: ما الذي يثبت صحة نسبة هذا الكلام إلى ابن عباس، وقد رواه ابن الأثير -الذي هو عمدة صاحب الكتاب في كل النقول التي ملأ بها كتابه- رواه عنه معلقاً عن أبي صالح عنه قال: "وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنَّ مكث آدم كان في الجنة نصف يوم...". (٤)

وفي موضع آخر يذكر ما نسب إليه من أخبار السير والمغازي، ليزر من خلالها النزعة الخيالية والجنوح إلى الإغراب لدى ابن عباس يقول: "إنَّ موقعة بدر، مثلاً، تبدأ في الأرض كحدث وتنتهي في السماء كدلالة، تبدأ بالنقاش البشري حول الموضع الذي اتخذته النبي في بدر، وتساؤل الحباب بن المنذر إن كان الموضع بإيعاز إلهي، أم

٣- الطبقات الكبرى: ٣/٣٥٤.

١- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠م: ٢٥٩/١٥.

٢- سدة هباكل الوهم: ص ٨٨.

٣- المرجع نفسه: ص ٩٥.

٤- الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن عبد الكريم أبو الحسن الجزري المعروف بابن الأثير، ١/١٢ (ترقيم المكتبة الشاملة).

هو الرأي والحرب والمكيدة؟، فقال النبي: بل هي الحرب والمكيدة، فيقترح الحجاب موضعاً آخر، ويستجيب له النبي، هذا ما يرويه لنا الطبري.

لكن الحس الملحمي الفانتازي لدى ابن عباس يأبى إلا أن يتدخل، ليروي لنا هذه الواقعة عبر توسيط السماء، وتدخل الآلهة على الطريقة الملحمية اليونانية، حيث ينزل جبريل على رسول الله ﷺ قائلاً: الرأي ما أشار به الحجاب، فنهض رسول الله ﷺ ففعل ذلك".

ثم يقول بعد سرد أخبار أخرى: "هذا النزوع إلى الخيال الفانتازي، وهو يسعى إلى البلوغ المطلق من أجل الارتفاع بالواقع إلى درجة المثال، هو ثمرة نزوع إنساني عميق نحو الأسطورة، لإطفاء ظمأ الروح الديني في الوقوف على مجاهل الغيب".<sup>(٢)</sup>

قلت: مرجع صاحب الكتاب في هذا الجزء من الأخبار هو كتاب المغازي للواقدي، قال بخصوص هذه الواقعة: "حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: الرأي ما أشار به الحجاب. فقال رسول الله ﷺ: يا حباب، أشرت بالرأي، فنهض رسول الله ﷺ ففعل كل ذلك".<sup>(٣)</sup>

والواقدي ضعيف عند علماء الحديث كما هو معلوم، فكيف يمكن اتهام ابن عباس بالتزويد على الأحداث ووصفه بتلك النعوت المشينة من خلال رواية لم تثبت صحتها، على أن حدوث ما ذكره ابن عباس غير ممتنع ولا يتنافى مع الأخبار الصحيحة وآيات القرآن الكريم التي أثبتت تأييد الله للمسلمين بالملائكة في غزوة بدر وغيرها، ومن صور ذلك التثبيت أن يأتي جبريل إلى رسول الله ﷺ ليقرّه على رأي الحجاب، ولا يجحد إلا سواه.

ويستمر في نهجه هذا من القدح في عدالة ابن عباس عند استعراضه لروايات حادثة الإسراء والمعراج، وعلى الرغم من إيرادته لكلام البوطي وغيره المشكك في كثير مما نسب لابن عباس في قصة الإسراء والمعراج، إلا أنه أصرّ على إيراد نتف منها والتعليق عليها وكأن ابن عباس هو راويها حقاً، من ذلك قوله: "لكن غرائب ابن عباس لا بدّ لها أن تعبر عن نفسها من خلال تفرّده بحكايات هي نتاج خياله الموهوب قصصياً، والتي لا بدّ لعدد منها أن يكون مستمداً من الإسرائيليات، فمن روايات ابن عباس التي تخصّه وحده، ولا تتردّد في المعاريج الأخرى، حديثه عن لقاء النبي ببلال في الجنة، وأنه التقى في النار رجلاً أحمر أزرق جداً، قال: من هذا يا جبريل؟، قال: هذا عاقر الناقة. ومن إبداعات ابن عباس الخاصة حديثه عن رؤية النبي للدجال، فقال: رأيته فيلانيا أقرم هجاناً، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أغصان شجر".

١ - سدة هياكل الوهم: ص ١٢٠-١٢١.

٢ - المغازي، محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي، ١/٥٤. (ترقيم المكتبة الشاملة).

ويخلص صاحب الكتاب بعد سرد هذه الأخبار المنقولة عن ابن عباس إلى أثره ودوره السيئ فيما شاع من إسرائيليات في التراث الإسلامي، قال: "لقد تسرّبت الإسرائيليّات إلى فضاءات الثقافة الإسلامية، وابن عباس أحد مجاريها الرئيسية، نظرا للدور الكبير الذي لعبه في تفسير القرآن، فتمثلت هذه الإسرائيليّات بشكل أساسي بأخبار الغيب والجنة والنار".<sup>(١)</sup>

هكذا يختزل القضية في ابن عباس وحده، معفيا أصحاب تلك الكتب ومن نقلوا عنهم من أي دور، علما أن أغلبها مقطوع الإسناد.

والغريب أنه يعود في الأخير للاعتراف بأن قصة المعراج كلها منتحلة منسوبة زيفا إلى ابن عباس، والحادثة في نظره إنما هي رؤيا فقط رآها النبي في المنام، قال: "إننا نخلص إلى أنّ الإسراء والمعراج ليس إلّا رؤيا من الله صادقة لنبيّه الذي عرج بروحه إلى الملاء الأعلى ليرى الله بنور قلبه، وأن هذا المعراج المنسوب إلى ابن عباس لا صلة لابن عباس به، إلا أن الحضور الباهر لابن عباس في شتّى حيّزات عطاءات الفكر الإسلامي بما فيها الغيبية، رشحته في زمن لاحق -ربما بقرون- من قبل الصوفية العرفانية ليكون هو راويتها لرؤيتها المعراجية".<sup>(٢)</sup>

ولكن الأغرب أن يعود في أواخر الكتاب ليلزق به ما روي عنه من أخبار حول الحادثة من خلال المقارنة بين تفاصيلها وما أثر عنه من تفسير لبعض الآيات إذ يوجد -حسبه- تشابه كبير بينها، يقول: "نجد أصول الجماليات الميثية الصوفية للمعراج في التفسيرات العجائبية السحرية الخرافية التي يقدّمها ابن عباس لتفسير بعض آيات القرآن، وهو يستقيها من أساطير الأولين (اليهود)".<sup>(٣)</sup>

---

١ - سدنة هياكل الوهم: ص ١٤٨-١٤٩.

٢ - المرجع نفسه: ص ١٥٨.

٣ - المرجع نفسه: ص ١٧١.

### خاتمة: ضوابط الاستدراك على الصحابة ونقد رواياتهم.

في ختام هذا البحث يمكن تحرير الملاحظات الآتية:

- لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام من حيث الجملة، مما لا يبقى معها لمرتاب شك في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه و بين المصطفى ﷺ لا يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، و يجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ، لأنّ عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم و إخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنصّ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

- كما دلت السنّة على أنّ سبّ الصحابة من أكبر الكبائر وأفجر الفجور، وأن من ابتلي بذلك فهو من الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

- لا يمنع القول بعدالة الصحابة احتمال الوقوع الخطأ منهم في رواية الحديث بحكم بشريتهم، أو احتمال أن تكون الرواية التي نسبت إليهم غير ثابتة، ولذلك ينبغي على من يبحث في روايات الصحابة اعتبار جملة من الشروط منها:

- التزام أدب النقد وأخلاقيات الجرح والتعديل من تقوى الله والتثبت وعدم الانطلاق من أي خلفية حيال أي صحابي، كما قال ابن حجر: "على الجراح تقوى الله تعالى في ذلك والتثبت فيه والحذر من التساهل بجرح سليم من الجرح أو نقص من لم يظهر نقصه، فإن مفسدة الجرح عظيمة فإنها غيبة مؤبدة مبطلّة لأحاديثه مسقطّة لسنة النبي ﷺ وراثة لحكم من أحكام الدين".

- الحذر من شبهات المستشرقين المبنية على الانتقاد العقلي الصرف لنصوص السنة، فكثير من السنن قد تخرج عن دائرة العقل لاسيما ما تعلق بالغيبات وأخبار الفتن، وقد اتخذت هذه الأحاديث وسيلة للطعن في عدالة الصحابة لما لم تستسغها تلك العقول.

- التثبت فيما نسب من أقوال لبعض الصحابة في صحابة آخرين، وقد مر بنا في البحث بعضا منها، بنيت عليها أحكام، ولكنها غير موثوقة الإسناد إلى قائلها، مما يسقط الاستدلال بها لاسيما إذا تعلق الأمر بجرح الصحابي.

وسبحانك الله وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك

والحمد لله ب العالمين

## قائمة المصادر والمراجع.

- أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٥٧.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- تقريب التهذيب، علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، الناشر، دار الرشيد، حلب، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ هـ.
- سدة هياكل الوهم، عبد الرزاق عيد، الناشر: دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣/١٩٩٣ م
- شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، طبع: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، دت: ص ٨٠.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.
- المصنف، عبد الرزاق بن همام أبو بكر الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.
- الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن عبد الكريم أبو الحسن الجزري المعروف بابن الأثير. (ترقيم المكتبة الشاملة).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م.
- المغازي، محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي، (ترقيم المكتبة الشاملة).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت: د ت.